﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾ [المائدة: 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَر تعالى ما حرَّمه في الآيةِ المتقدِّمةِ من الخبائثِ الضارَّة لمُتناوِلِها - إمَّا في بدَنِه، أو في دِينه، أو فيهما - واستثنى ما استَثْناه في حالةِ الضَّرورةِ؛ شرَع في بيانِ ما أحلَّه لهم، فقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: الطَّيِّبُ لُغَةً: المُستَلَذُّ، والحلالُ المأذونُ فيه، يُسمَّى أيضًا طيِّبًا؛ تَشبيهًا بما هو مُستَلَذٌّ؛ لأنَّهما اجتمعا بانتفاء المَضرَّةِ[1]، والطَّعام الطَّيِّب في الشَّرع: ما كان متناولًا من حيث ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز؛ فإنَّه متى كان كذلك كان طيِّبًا عاجلًا وآجلًا لا يُستوخم.

2) ﴿ٱلۡجَوَارِحِ﴾ أي: الصَّوائِدِ أو الكَواسِبِ -كالكِلابِ والفُهودِ والصُّقورِ وأشباهِها - وهي ما صِيدَ به من سِباعِ البَهائِمِ والطَّير، وأصلُ الاجتراح: الاكتسابُ، والمُفردُ: جارحةٌ، والكَلْبُ الضَّاري جارحةٌ، سُمِّيَت جوارحُ؛ لأنَّها كواسِبُ أنفسِها، مِنْ: جَرَحَ واجْتَرَحَ؛ إذا اكْتَسَبَ[2].

3) ﴿مُكَلِّبِينَ﴾، أي: أصحابَ ضَوارٍ وكلابٍ، وَالمُكَلِّبُ: الَّذي يُعلِّمُ الكلبَ، ويُقالُ: رجلٌ مُكلِّبٌ وكَلَّابٌ، أي: صاحبُ صيدٍ بالكِلابِ، ويقالُ للصَّائد مُكَلِّب؛ لأنَّه يُعَلِّمُ الكَلْبَ الصَّيْدَ، قال الشَّاعرُ:

فبادَرَهُ عند الصَّبَاحِ مُكَلَّبٌ*** أزلُّ كَسِرحَان الهَزيمة أَغْبرُ[3].

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 7/262.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (جَرَحَ)، وابن قُتَيْبَة، غريب القرآن، ص: 139.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (كَلب)، والشّاعر غير معروف.

❁ المَعْنَى الإِجْمَاليُّ:

ولمَّا ذَكَرَ اللَّهُ ما حَرَّمَ أكلَه؛ ذَكَرَ ما أباحَ أكْلَهُ، فقال: يَسألُكَ - أيُّها الرَّسولُ - صحابتُكَ عمَّا يُباحُ لهم أكْلُه من الأطعمةِ، قل - أيُّها الرَّسول - : أَحَلَّ اللَّه لكم ما طابَ من المآكلِ، وأكلَ ما صادَتْهُ المُدرَّباتُ مِنْ ذواتِ الأنيابِ كالكِلاب والفُهود، وذواتِ المَخالِبِ كالصُّقورِ؛ إذا عَلَّمُوها، ودَرَّبوها على طريقةِ الصَّيد، يُعلِّمونها ممَّا امتنَّ اللَّه عليهم من العِلم بآدابِ الصَّيد، حتَّى صارت إذا أُمِرَتِ؛ ائْتَمَرَتْ، وإذا زُجِرَتِ؛ انْزَجَرَتْ، فلْيَأكلوا ممَّا أمسكْنَه لأجْلِهم، ولْيَذكروا اسمَ اللَّه عليها عندَ إرسالِها للصَّيد، واتَّقوا اللَّه بامتثالِ أوامره، والكَفِّ عن نواهيه، إنَّ اللَّه سريعُ الحسابِ للأعمالِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة فَصْل جملة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ عن الآية قبلها:

الاستئناف البيانيُّ أو الاستئناف الابتدائيُّ

والفَصْلُ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ عن الآية قبلَها؛ إمَّا أنْ يكونَ للاستئناف البيانيِّ النَّاشئِ عن جملةِ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وقولِه: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾، وإمَّا أنْ يكونَ الفَصْلُ للاستئناف الابتدائيِّ؛ للانتقالِ من بيان المُحَرَّمات إلى بيان الحلال بالذَّات، وإنْ كان السُّؤالُ لم يَقَعْ، وإنَّما قُصِدَ به توقُّعُ السُّؤالِ، كأنَّه قيلَ: إنْ سألوكَ، وعليه فالمضارعُ بمعنى: الاستقبالِ؛ لِتَوقُّعِ أنْ يَسألَ النَّاسُ عمَّا أُحِلَّ لهم بعد أنْ سمعوا ما حُرِّمَ عليهم، فالنُّفوسُ تتوجَّهُ إلى الإحاطة به، وإلى معرفة ما يُمكنُ أنْ يكونَ قد حُرِّمَ عليهم من غير ما عُدِّد لهم في الآيات السَّابقة.

التَّعبير بالمضارع لاستحضار صورة الحدث في الذِّهن، وللدَّلالة على تجدُّد السُّؤال

سرُّ التَّعبير بالمضارع: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾:

أمَّا دَلالةُ المضارع على معنى الاستئناف البيانيِّ؛ فهي تُجَدِّدُ السُّؤالَ، أيْ: تُكرِّرُه، أو تَوقُّعُ تكرُّرِه[1].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/110.

وأوثرَ التَّعبيرُ بالمضارع هنا على التَّعبير بالماضي؛ لاستحضار صورة الحَدَثِ في الذِّهْنِ؛ تَمهيدًا لتَمْكين الإجابةِ في النَّفْس عند وُرودها، "كما دَلَّ التَّعبيرُ بالمُضارِعِ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ على تجدُّد السُّؤالِ، وهذا يدلُّ على حِرْص الصَّحابة - رضوان الله عليهم - على التَّحرِّي مِن جَلِيَّة ما سَكَتَ عنه القرآنُ الكريمُ، فلم يَكْتَفُوا بدَلالة المَفهومِ، حتَّى اسْتوضحوه، وجعلوه بالاستفهام عنه منطوقًا[1]".

دلالة التَّعبير بالضَّمير في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾:

عبَّر عن المؤمنين بالضَّمير في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ ليشمل من سأل تصريحًا أو تلميحًا، ولرفع الحرج عن السَّائلين.

دلالة استعمال الاستفهام في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾:

بدأت الآيةُ الكريمةُ باستفهام حقيقيٍّ، وذلك في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾[2]، والمطلوبُ بهذا الاستفهام معرفةُ ما أَحَلَّ اللهُ تعالى لعباده من المطعومات، وقد نَشَأَ هذا السُّؤالُ نتيجةَ ذِكْرِ المُحَرَّماتِ في الآية السَّابقة، حيثُ عُدِّدَتْ فيها عشرةٌ من المَطْعوماتِ المُحَرَّماتِ.

دلالة إيثار الاستفهام بـ﴿مَاذَآ﴾ على (ما) في قوله: ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾:

وفي إيثارِ الاستفهام بـ﴿مَاذَآ﴾ على (ما)، حيثُ لم يَقُلْ: (ما أُحِلَّ)؛ لتَفخيم شأن المستفهَم عنه، وزيادةُ المبنى مِن دَلالات زيادة المعنى[3].

سرُّ بناء الفعل ﴿أُحِلَّ﴾ للمفعول:

لِـعَـدم تَـعَـلُّق الـغَـرَض بكونه مِن سائل مُعَيَّنٍ

وبُنِي الفعلُ لِلْمَفْعُولِ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾؛ ليكونَ طِبْقَ سُؤالِهم؛ ولِعَدَمِ تَعلُّقِ الغرضِ بكونه مِن سائلٍ مُعَيَّنٍ.

نكتة العدول في الآية الكريمة من (لنا) إلى ﴿لَهُمْ﴾:

الـتـفـات من الـتَّـكـلُّـم إلى الغيبة للتَّنبيه

السُّؤالُ يتضمَّنُ معنى: القولِ، فهو حكايةٌ لقولهم، وعَدَلَ عن (لنا) إلى ﴿لَهُمْ﴾؛ مراعاةً لضمير الغائب في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، فهنا

(1) عبد العظيم المَطْعَنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/239.

(2) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَزَيْدِ بْنِ الْمُهَلْهِلِ الطَّائِيَّيْنِ، قَالاَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا قَوْمٌ نَصِيدُ بِالْكِلاَبِ وَالْبُزَاةِ، فَمَاذَا يَحِلُّ لَنَا مِنْهَا؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة، ينظر: الواحديّ، أسباب نزول القرآن، ص: 194.

(3) المَطْعَنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/239.

التفاتٌ من التَّكلُّم إلى الغيبة؛ للتَّنبيهِ وتوجيهِ الذِّهن، ولأنَّ السِّياقَ حكايةٌ عنهم، كما يُقالُ: أقسِمُ لَيفعلنَّ كذا.

دلالة التَّعبير بقوله: ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾:

وأَمَرَ اللّه تعالى رسولَه ﷺ أنْ يتولّى الجوابَ في قوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ هو المُبَلِّغُ للرِّسالة، وهو المُبَيِّنُ لهم والمُرْشِد، وهو المَرْجِعُ، ومِمَّا يتَّفِقُ مع مقام الرِّسالة أنْ يكونَ هو المُجيبَ، لكنْ إذا كان اتِّجاه النَّاس إلى ربِّهم بالضَّراعةِ تَسْقُطُ الواسطةُ بين اللّه تعالى وعبادِه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 186][1].

دلالة الجواب بقوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مع أنَّ الطَّيِّبات غير معلومة:

جاء قوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ جوابًا لسؤالهم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾؛ لأنَّ المرادَ بالطَّيِّبات هنا الذَّبائِحُ، والعربُ تُسَمِّي الذَّبيحةَ: طَيِّبًا، وتُسَمِّي المَيْتةَ: خبيثًا، فصار المرادُ معلومًا، لكنَّه مخصوصٌ كغيره من العموميَّات[2].

وتطلق الطَّيِّبات على ما لَمْ تَسْتَخْبِثْهُ الطِّباعُ السَّليمَةُ، ولَمْ تَنْفِرْ عَنْهُ، ومِن مَفْهُومِهِ حَرُمَ مُسْتَخْبَثاتُ العَرَبِ[3].

دلالة تكرار الفعل ﴿أُحِلَّ﴾ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾:

كرَّر الفعل ﴿أُحِلَّ﴾ للدَّلالة على أنَّ أمر التَّحليل والتَّحريم أَمْرٌ شرعيٌّ ينبغي الوقوف عنده، وفيه إشارة إلى الامتنان والإعلام بأنَّ ما أحلَّه اللّه لهم هو الطَّيِّب دون غيره، وفي هذا إبطال لما كانت تفعله العرب من تحريم ما لا موجب لتحريمه أو تحليل ما هو خبيث.

دلالة تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَكُمُ﴾ على المفعول في قوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾:

قدَّم الجارَّ والمجرور للعناية بالسَّائلين، ولرفع الحرج عنهم، ولإزالة الوحشة التي أصابتهم من ذكر المحرَّمات العشرة قبل ذلك.

---

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2037.

(2) الرازيّ، من غرائب آي التّنزيل، ص: 66.

(3) البَيْضاوي، أنوار التّنزيل: 1/136.

دلالة التَّعبير عن الحلال بالطَّيِّبات في قوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾:

عبَّر بالطَّيِّبات؛ لأنَّها تحمل في معناها الحلال؛ لأنَّ أصل معنى الطَّيِّب: الطَّهارة والزَّكاة، ومن له أثرٌ حسنٌ في النَّفس، ولمَّا كان كذلك؛ أُطلق على الحلال؛ لأنَّ حلَّه علامة على حسنه وسلامته من المضرَّة، ولذلك كان ذكر الوصف بالطَّيِّب من الأطعمة علَّةً للتحليل، وأفاد أنَّ الحرام ضدُّه، وهو الخبيث، يدلِّل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: 157].

دلالة حذف الموصوف وبقاء الصِّفة في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾:

حذف الموصوف، وهو الأطعمة، وأبقى الصِّفة للدَّلالة على تمكُّن وصف الطَّيِّب فيها، أي: في ذات الطَّعام، فلا يكون ضارًّا، ولا ممَّا تكرهه الطِّباع، وتأنف منه النُّفوس، ولا يكون منافيًا للدِّين، وكلُّ من اجتمعت فيه هذه الصِّفات لا يحرمه الدِّين؛ لأنَّه موافق للفطرة والعقل.

بلاغة العطف في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾:

عطف على الطَّيِّبات بتقدير مضافٍ

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾: عَطْفٌ على ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ بِتَقْدِيرِ مُضافٍ، أيْ: وصَيْدُ ما عَلَّمْتُمُوهُ[1]، ويكون ذلك عطف المفرد، يدلُّ عليه قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، وتكون (ما) على هذا موصولة، و(فاء) ﴿فَكُلُواْ﴾ للتَّفريع، ويجوز أن يكون من باب عطف الجمل، وتكون (ما) شرطيَّة، وجواب الشَّرط ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ﴾[2].

دلالة تسمية الكواسب من السِّباع ونحوها بالجوارح:

﴿ٱلْجَوَارِحِ﴾: الكَواسِبُ مِن سِباعِ البَهائِمِ والطَّيْرِ - كالكَلْبِ والفَهْدِ والعُقابِ والصَّقْرِ والبازِيِّ والشَّاهِينِ - وسُمِّيت جوارحًا؛ لِأنَّها تَجْرَحُ لِأهْلِها، أيْ: تَكْسِبُ لَهم، ومفردُها: جارِحَةٌ، تَقُولُ العَرَبُ: فُلانٌ جَرَحَ أهْلَهُ خَيْرًا، أيْ: كَسَبَهم خَيْرًا، وفُلانٌ لا جارِحَ لَه، أيْ: لا كاسِبَ،

(1) أوْ مُبْتَدَأٌ، عَلى أنّ: (ما) شَرْطِيَّةٌ، وجَوابُها: (فَكُلُوا).

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/114.

ومِنهُ قَوْلُه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: 60] أيْ: كَسَبْتُمْ، وقِيلَ: سُمِّيَتْ جَوارِحُ؛ لِأنَّها تَجْرَحُ الصَّيْدَ عِنْدَ إمْساكِهِ غالبًا[1].

سِرُّ عطف قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ على ما قبله:

عطف قولُه: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ على ما قبله؛ "لأنَّ طَيِّبَه قد يَخفى مِنْ جهة خفاءِ معنى الذَّكاةِ في جرح الصَّيدِ، لاسِيَّما صيدُ الجوارحِ، وهو مَحَلُّ التَّنبيهِ هنا الخاصُّ بصيد الجوارحِ[2]".

دلالة التَّعبير بقوله ﴿مُكَلِّبِينَ﴾:

عبَّر بقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: وهي حالٌ من الضَّمير المُتَّصل في ﴿عَلَّمْتُم﴾ لبيان نوع التعليم، وهو تعليم المُكلِّب، "والمُكَلِّبُ: مُؤَدِّبُ الجَوارِحِ ومُضْرِيها بالصَّيْدِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الكَلْبِ؛ لِأنَّ التَّأْديبَ كَثيرًا ما يَقَعُ فِيهِ، أوْ لِأنَّ كُلَّ سَبُعٍ يُسَمَّى كَلْبًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ في حَقِّ عُتْبَةَ بْنِ أبي لَهَبٍ، حِينَ أرادَ سَفَرَ الشَّامِ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِن كِلابِك»، فَأكَلَهُ الأسَدُ.

ومن دلالة التَّعبير بها: المُبالَغَةُ في التَّعْلِيمِ لِما أنَّ الاسْمَ المُكَلَّبَ لا يَقَعُ إلَّا عَلى النَّحرير في عِلْمِهِ[3]".

دلالة التَّعبير بالمكلِّب دون المعلِّم:

عبر بالمكلِّب دون المعلم؛ لأنَّ المرادَ من المُكَلِّب مُعَلِّمُ الجوارح ومؤدِّبُها، وهو أَعَمُّ مِن أنْ يكونَ مُؤَدِّبًا للكلب ولغيرِه، لكنْ اشتُقَّ له اسمٌ من الكلب؛ لأنَّ التَّأديبَ للكلبِ أكثرُ وآثرُ، ولأنَّ الكلبَ شاملٌ لجميع أنواع السِّباعِ، ومنها جوارحُ الطُّيور[4].

فائدة ذكر ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بعد قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾:

وقد يُوهَمُ أنَّ في ذِكْرِ قولِه: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بعدَ قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ تكرارًا؛ إذْ إنَّ المُكَلِّبَ هو المُعَلِّمُ من كلاب الصَّيد، لكنْ ليس في هذا تَكرارٌ؛ لأنَّ مِن معاني المُكلِّب - أيضًا- أنَّه المُضْري للجارح والمُغْري له، وبناءً على هذا التَّفسير، لا يكونُ قولُه: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾

(1) القاسميّ، مَحاسن التَّأويل: 7/1843.
(2) الطَّاهر ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/114.
(3) أبو السّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/8.
(4) الكازرونّي، حاشية الكازرونّي على تفسير البيضاويّ: 1/136.

من ذكر الخاصّ بعد العامّ

تَكرارًا، وعلى التَّفسير الأوَّل يمكنُ التَّأويل بأنَّه مِنْ ذكر الخاصِّ بعدَ العامِّ؛ لأنَّ غالبَ صيدِهم كان بالكِلاب، فَأَخرَجَه مَخْرَجَ الغالِبِ الواقعِ منهم[1].

بلاغة الفصل في قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾:

كمال الاتِّصال بينها وبين ما قبلها

فُصلت جملةُ ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّها استئنافٌ، والمراد: ممَّا علَّمكم اللّه من الحيل وطرق التَّعليم والتَّأديب، فإنَّ العلم بها إلهامٌ من اللّه تعالى، أو مكتسبٌ بالعقل الذي هو منحة منه، أو ممَّا عرَّفكم أن تعلموه من اتِّباع الصَّيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه، وإمساك الصَّيد عليه، وعدم أكله منها[2].

دلالة تكرار مادة العلم في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾، وقوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾:

كرَّر مادة العلم؛ للإشارة إلى أنَّه على كلِّ آخذٍ علمًا" ألَّا يَأْخُذَه إلَّا من قِبَل أهْلِه عِلْمًا وأبْحَرِهم دِرايَةً، وأغْوَصِهم عَلى لَطائِفِه وحَقائِقِه، واحْتاجَ إلى أنْ تُضْرَبَ إلَيْهِ أكْبادُ الإبِلِ، فَكَمْ مِن آخِذٍ مِن غَيْرِ مُتْقِنٍ، فَقَدْ ضَيَّعَ أيَّامَهُ، وعَضَّ عِنْدَ لِقاءِ النَّحارِيرِ أنامِلَهُ[3]".

وفيه إشارة إلى دقَّة التَّحرِّي في الأكل من صيد الكلاب المرسلة، فلا بدَّ وأن تكون معلَّمة تعليمًا دقيقًا، فلا يكتفى المكلِّب بتعليمه مرَّة أو مرَّتين، بل لا بدَّ من التَّأكُّد أنَّه تعلَّم، فإذا أمره؛ ائتمر بأمره، وانزجر بزجره، وتعلَّم الإمساك عليه؛ لأنَّ ذلك يتعلَّق بأمر المطعومات، وهي من الخطورة في الشَّرع بمكان.

(1) محمّد بن أبي بكر الرّازيّ، من غرائب آي التّنزيل، ص: 66.
(2) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/8.
(3) الزَّمَخْشريّ، الكَشَّاف: 1/323.

سرُّ تأنيث الضَّمير وجمعه في قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾:

"أَنَّثَ الضَّميرَ في ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾؛ مُراعاةً لِلَفْظِ الجَوارِح، إذْ هو جَمْعُ جارِحَة[1].

دَلالة (مَنْ) في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾:

و(مِن) لِلتَّبْعِيضِ، وهذا تبعيضٌ شائعُ الاستعمالِ في كلام العربِ عند ذِكر المُتناولات، كقوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾، وليس المقصودُ النَّهيَ عن أكل جميعِ ما يَصيدُه الصَّائدُ، ولا أنَّ ذلك احتراسٌ عن أكل الرِّيشِ والعَظْمِ والجِلدِ والقرونِ؛ لأنَّ ذلك كلَّه لا يَتوهَّمُه السَّامع حتَّى يَحترسَ منه[2].

سرُّ العدول عن (اللَّام) إلى (على) في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾:

وعُدِّيَ الفعلُ (أمسك) بحرف الاستعلاءِ، وكان الظَّاهرُ أنْ يَتعدَّى بحرفِ الاختصاص، فيقالُ: أَمْسَكْنَ لكم، ولعلَّ هذا مقصودٌ بما يُوحي به الحرفُ من معنى الاستعلاءِ، أنَّ ما اصطادَتْه تلك الجوارحُ لأصحابها، لا يَحِلُّ أكلُه إلَّا بشروطٍ، منها: وجوبُ ذِكْرِ اسمِ الله تعالى عندَ إطلاقِ الجوارحِ، أو بعدَ اصطيادِ الفريسةِ، وعدم أكل الكَلْب المُعَلَّم منها، وما يَسْتَتْبِعُ هذا من التَّبِعةِ، لوجوب التَّحرِّي مِنْ تَحقُّقِ تلك الشُّروط - المبثوثة في كُتُب الفقه - قَبْلَ أكلِها، وما يُمثِّلُه هذا من مسؤوليَّةٍ، تُمثِّلُ ثِقَلًا وعِبْئًا على أصحابِ تلك الجوارحِ المُدَرَّبةِ، وهذا ما جَسَّدَه حرفُ الاستعلاءِ في صورةٍ جَلِيَّةٍ، ولا يَخفى أنَّ الاستعلاءَ - بناءً على هذا المعنى - مجازيٌّ، أمَّا لو قيلَ: (مِمَّا أَمْسَكْن لَكُم) بحرفِ الاختصاص، فقد يُفهَمُ منه إباحةُ الأكلِ مِمَّا تَصطادُه تلك الجوارحِ، دون قَيْدٍ أو شَرْطٍ - وهذا ينافي الواقع - بما يدلُّ عليه هذا الحرفُ من معنى التَّمَلُّكِ والاختصاص.

دلالة التَّعبير بـ ﴿مِمَّآ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾:

احتراس بليغ

في قوله: ﴿مِمَّآ﴾ بدل (ما): احتراسٌ بليغٌ؛ لاستبعادِ إرادةِ غيرِ المقصود؛ لأنَّه لو قيلَ: (فَكُلوا ما أَمْسَكن عليكم)؛ لجاز أَكْلُ كلِّ ما أمسكَتْهُ الجوارحُ، وهذا لا يجوز شرعًا؛ لأنَّ مِمَّا أمسكَتِ

(1) ابن عطيَّة، المُحَرِّر الوجيز، ص: 516.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/116.

الجوارحُ ما لا يجوزُ أكلُه، كأنْ تأكل الجارحةُ ممَّا أمسكَتْهُ، فلا يجوزُ أكلُ ما تبقَّى منه، ولو كان كثيرًا[1].

دَلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾:

الأمر في ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ للإباحَة، والمَعْنى: كُلُوا مِنَ الصَّيْدِ الَّذي أَمْسَكْنَ لأجلكم، "وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس وَأَبُو هُرَيْرَةَ - ﷺ - وَالنَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُبَيْرٍ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وغيرُهم: المَعْنَى: وَلَمْ يَأْكُلْ، فَإِنْ أَكَلَ؛ لَمْ يُؤْكَلْ مَا بَقِيَ؛ لِأَنَّهُ أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَمْ يُمْسِكْ عَلَى رَبِّهِ، كما وردَ في الحَديثِ الشَّريف الَّذي رواه عَديٌّ، وأخرجه مُسْلِمٌ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الكَلْبِ المُعَلَّمِ، فَقَالَ: (وَإِذَا أَكَلَ؛ فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ على نفسه)[2].

تـنـزيـل غـير الـعـاقـل منزلة العاقل بِتَعَلُّمِها الـصَّـيـد كـأنَّـها عاقلات

وفي قوله: ﴿مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ نُزِّلَ غيرُ العاقل منزلةَ العاقلِ؛ حيثُ عُبِّرَ عن الجوارحِ، وهي غيرُ عاقلٍ بجمعِ المُؤنَّثِ السَّالمِ، فقال: ﴿مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ﴾؛ لأنَّها بتعلُّمِها الصَّيدَ، وإتقانِها له صارت كأنَّها عاقلاتٌ، وجاء هذا الإطلاقُ على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة، حيثُ شُبِّهَ افتراسُ الجوارحِ، وهي غيرُ عاقلةٍ بِصَيدِ العاقلِ، بجامعِ المَهارة والإتقان في كُلٍّ منهما.

سرُّ التَّعبير بالإمساك دون الصَّيد في قوله: ﴿مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾:

عبَّر بالإمساك دون الصَّيد؛ ليشير إلى حالة الإمساك المخصوص على صاحبه، بخلاف الصيد؛ فقد يكون بإمساك وبغير إمساك، كأن يرى صيدًا لم يصدّه هو، وعند ذلك يكون صيده على غير المعتاد، ودلَّ التَّعبير بالإمساك - أيضًا- على أنَّه من شروط حلِّ الصَّيد إمساكه على صاحبه.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾:

الفاء فيها تكون فصيحةً إن جعلت (ما) في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم﴾ موصولة، وتكون رابطة للجواب إن جعلتها شرطيَّة.

(1) اَلطَعَنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/240.
(2) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 3/35.

دَلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾:

والأمر في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ للوجوب، أي: بِذِكْرِ اسم الله تعالى عَلى الصَّيْدِ، ومَعْناهُ: أنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَ الإرْسالِ؛ لِأنَّهُ قَدْ يَمُوتُ بِجُرْحِ الجارِحِ، وأمَّا إذا أمْسَكَهُ حَيًّا؛ فَقَدْ تَعَيَّنَ ذَبْحُه، فَيَذْكُرُ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ.

بلاغة التَّعبير بالذِّكر في قوله: (اذكروا) دون التَّسمية:

عبَّر بالذِّكر لأنَّه أعمُّ، فيشمل الذِّكر بالقلب والذِّكر باللِّسان، وكلُّ واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان وذكرٌ لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ[1]، بخلاف التَّسمية؛ فهي جزءٌ من الذِّكر، وأيضًا فيه إشارة بأنَّه لو استحضر الذِّكر بقلبه، ونسيه بلسانه يكون ذاكرًا لله على المذبوح، وفيه إشارة - أيضًا- إلى معنى العبادة.

بلاغة التَّعبير بالضَّمير في (عليه) بدلًا من الظَّاهر في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾:

من جمال الأسلوب القرآنيِّ التَّعبير بالضَّمير ليؤدِّي أكثر من معنى، وهذا من جمال الإيجاز، فالضَّميرُ في: ﴿عَلَيۡهِ﴾ في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾، إمَّا أنْ يرجعَ إلى ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾، أي: التَّسميةُ عند الإرسال على الصَّيد، وإمَّا أنْ يرجعَ إلى قوله: ﴿مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ﴾، والمعنى: وسَمُّوا عليه؛ إذا أَدْرَكْتُم ذَكاتَه[2].

ومِمَّا يدلُّ عليه التَّعبير بالضَّمير: الإشارة إلى المذبوح الذي ذكر اسم الله عليه لا شبهة، وللتفريق بينه وبين ما يحتمل وجود شبهة كالمسوك عند الإرسال على الصَّيد.

نكتة ذكر كلمة ﴿ٱسۡمَ﴾ مضافة إلى لفظ الجلالة:

الواجب عند التَّذكية ذكر اسم الجلالة دون غيره

وذِكرُ كلمةِ ﴿ٱسۡمَ﴾ مضافةً إلى لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ له مَغزًى بلاغيٌّ دقيقٌ؛ إذ إنَّ الواجبَ ذِكْرُه في تذكية الذَّبائح والصَّيدِ هو لَفْظُ الجلالة (اللهِ) بعينه، لا اسمٌ آخرُ من أسمائه تعالى الحسنى، ولو قيلَ: واذكروا اللهَ؛ لأجزأَ ذِكْرُ أيِّ اسمٍ

(1) الراغب، المفردات: (ذكر).

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/324، والقُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 3/35.

مِن أسمائه الأخرى، ولكنْ لَمَّا قال: ﴿ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾؛ تَعيَّنَ أنْ يكونَ المذكورُ هو لفظُ الجلالةِ (اللَّه)، وهذا مِن دِقَّة البيانِ القرآنيِّ المُعْجِز[1].

الإظهار في مقام الإضمار لتعليلِ الحُكمِ:

جملة خبريَّة مؤكَّدة للتَّخويفِ من اجتنابِ التَّقوى

وإظهارُ الاسمِ الجليلِ (اللَّه) في موقعِ الإضمار؛ لتَربيةِ المَهابة في نفوس المخاطبين، وتعليلِ الحُكم؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تشريعٍ وتَحَرِّي الحلالِ؛ فناسَبَ ذلك إظهارُ اسمِ الجلالة في المواضع الثَّلاثة: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأنَّه أدعى للطَّاعةِ والإذعانِ.

دلالة فصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ عمَّا قبلها:

فُصِلَتْ هذه الجملةُ عمَّا قبلها لكمالِ الانقطاعِ؛ لاختلاف الجملتَين خبرًا وإنشاءً، فما سبقَتْها إنشائيَّةٌ، وهذه خبريَّةٌ لفظًا ومعنًى.

سرُّ التَّعبيرِ بقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ خلافًا لفاصلة الآية السَّابقة:

ختمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ كناية عن سرعة تحقُّق الحساب وتحقُّق وقوعه في يوم القيامة وقربه، وفيه إشارة إلى علمه ﷻ بأحوال النَّاس في تناول المباح من الطَّيِّبات، ولا سيَّما من الكلاب المُعلَّمة، والنَّاس فيها بين محسن ومسيء، فإذا علم المرسل لكلبه المُعلَّم بأنَّ المُحاسب على حقيقة التَّذكية والتزام شروطها: هو اللَّه ﷻ الذي لا تخفى عليه خافية؛ التزم الدِّقَّة في التزكية.

وفيه إشارة إلى العدالة النَّاجزة للمحسن وللمسيء، فيجازى المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته.

دلالة التعبير بالجملة الاسميَّة:

عبَّر بالجملة الاسميَّة للتَّأكيد، والغرضُ منها التَّهديدُ والتَّخويفُ من اجتنابِ التَّقوى، وأنَّ مَنْ لم يتَّقِ اللَّه؛ فإنَّ اللَّه سَرِيعُ الْحِسَابِ، أي: إنَّ اللَّه تعالى سيُحاسِبُكم على أعمالِكم، وقولُه: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يتضمَّنُ سُرعةَ التَّنفيذِ مِن وجهٍ، وسرعةَ الوقتِ من وجهٍ آخَرَ.

(1) الطَّعَنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم: 1/241.

دلالة الإتيان بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ عقب قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾:

جاء قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ بعد الأمر بذكر اسم الله لتحذير الَّذين يرسلون كلابهم للصَّيد من الوقوع في أكل الحرام، بأن يأتي الكلب بصيد لم يرسله عليه، أو أن يكون الكلب غير مؤتمرٍ بأمره، إلى غير ذلك من الحالات التي يشتبه فيها الحلال بالحرام، ولا يكون فاصلًا بينهما إلَّا تقوى الله؛ لأنّها تشمل الظَّاهر والباطن.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»